قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية وانعكاسها على مسار الحركة الوطنية 1940-1945

French Colonial Policy in Algeria During the Second World War and its Reflection on the Course of the National Movement 1940-1945

مجاهد يمينة [1] *
[1] جامعة أحمد بن بلة 1 وهران– الجزائر

Key words:

World War II 1939-1945,

Vichy government 1940,

Allied landing in Algeria 1942;

February 1943 statement,

The race for armaments.

Abstract

By the fail French government of Paul Raymond in June 1940, and the declaration of the government of vichesy under the rule of Marichal Philippe Petain, who had accept the plan of the Nazi germens, he decided to make some changes on the principal slogans of their French republic, liberty legality, fraternity to work, Family nation (parties). Because Algeria was a settlement of French colonial Empire, it become a part of the government of vichey and belonging to the germen Nazi.

They proposed to dived if to 3 provenances l'Oranais in the west belonging to Spain, ese Constantinenois for the Italians, and the center became ruled directly from Vichey.

The Alliance (USA an Uk) decided to make a military landing in North African in November 1942. The made a general commandment for the forces against then the germens and they began a great operation called "Torshi", in these circumstances the nationalist movement in Algeria triad the contact the commandment and they shown the question of auto determinism and decolonization according to the new ideas proposed by the US president Franclin Roosevelt concerning the right of colonized people to get their independence.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال :2019/12/25

القبول : 2019/02/16

الكلمات المفتاحية:

الحرب العالمية الثانية 1939 –1945،

حكومة فيشي1942،

إنزال الحلفاء بالجزائر 1942،

بيان فبراير 1943،

السباق نحو التسلح.

ملخص

عندما وقعت فرنسا في يد الألمان في جوان 1940، سقطت حكومة بول رينوا (Paul Raynaud)، و تم الإعلان عن قيام حكومة موالية لألمانيا، و التي عرفت باسم حكومة فيشي برئاسة المارشال بيتان (Pétain)، الذي اقتنع بالخطة الألمانية فأجرى تغييرات على رأسها تغيير شعار الجمهورية الفرنسية من " حرية، مساواة ،إخاء" الى شعار " العمل، الأسرة، الوطن".

كان لردود الفعل في الجزائر أثر كبير لهزيمة فرنسا أمام ألمانيا، تلك الهزيمة التي أدرك الجزائريين من خلالها ضعف فرنسا وفي نفس الوقت أعجبوا بألمانيا النازية، واعتقدوا أنها محررة الشعوب المستعمرة.

طرح الألمان على حكومة فيشي طرح الألمان فكرة تقسيم الجزائر إلى ثلاثة أقسام هي: منطقة قسنطينة مع تونس تعطى لإيطاليا، ومنطقة وهران تعطى لإسبانيا، أما منطقة الجزائر العاصمة فتحتفظ بها فرنسا، كما قررت حكومة فيشي إلغاء قانون كريميوا المتعلق بتجنيس يهود الجزائر.

لقد اتخذ قرار إنزال الحلفاء بالجزائر خلال شهر نوفمبر 1942، حيث وضعت قيادة الأركان المشتركة لتلك الدول مشروع الإنزال بشمال إفريقيا، أعطيت له تسمية سوبر- جيمناست- ثم أصبحت تسمى بعملية تورشTorche » « فعين الجنرال الأمريكي إيزنهاور قائدا عاما مشرفا على العملية.

رحب الجزائريون بنزول الحلفاء سنة 1942 (الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا)، واعتبروها فرصة مشجعة لطرح قضية حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، خصوصا بعد تصريح الرئيس الأمريكي روزفلت باسم الحلفاء حق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها.

* Corresponding author at: Ahmed ben bella 1 University of Oran 1, ALGERIA
Email : mina.med50@yahoo.com

1ـ مقدمة

لقد شهد العالم عام 1939 اندلاع الحرب العالمية الثانية، والتي كانت فرنسا طرفا فيها إلى جانب بريطانيا والاتحاد السوفياتي، بإعلانهما الحرب على ألمانيا في 03 سبتمبر 1939 (yousfi Alger, 1985, p 132 M'hamed) ، تلك الحرب التي وجدت الجزائر نفسها مقحمة فيها باعتبارها إحدى المستعمرات الفرنسية .

إن توقيع ميثاق عدم الاعتداء بين ألمانيا والإتحاد السوفياتي في أوت 1939، في إطار ما يسمى بالتحالف السوفياتي- الألماني أتاح الفرصة أمام هتلر لتكثيف الجهود العسكرية في الجهة الغربية، وذلك بعد أن نجح في تأمين الجهة الشرقية لألمانيا، ونظرا لأن القيادة العسكرية النازية وضعت في اعتبارها أن أضعف نقاط الدفاع الفرنسية تقع في ما وراء البحار بدأ التحرك الألماني صوب الأراضي المنخفضة حيث تم إخضاع كل من هولندا و لكسمبورغ، و من تم التقدم نحو بلجيكا التي لم تستطيع الصمود أمام ألمانيا، ونظرا للمناوشات الإنجليزية والفرنسية، التي أدت إلى انسحاب بريطانيا من الحرب، أصبح بذلك الطريق مفتوحا أمام قوات هتلر لغزو الأراضي الفرنسية (موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية و الحضارية القاهرة، 46-47)

ونظرا لتفوق ألمانيا تمكنت من اختراق الحدود البلجيكية الفرنسية و الالتفاف حول خط ماجينو (خط دفاعي أقامته فرنسا لحماية حدودها من جهة الشمال الشرقي لألمانيا، خلال بداية الحرب العالمية الثانية).

الإشكالية العامة للموضوع تتمحور على الشكل التالي:

ما هي التغيرات التي طرأت على السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية وكيف كانت انعكاساتها على مسار الحركة الوطنية ؟

هل طرأت تغييرات على السياسة الاستعمارية في الجزائر في عهد حكومة فيشي (جوان1940 وسبتمبر 1944)؟ كيف استغل **قادة الحركة الوطنية** وعلى رأسهم في فرحات عباس نزول الحلفاء بشمال إفريقيا سنة 1942؟ كيف تمكنت التيارات الوطنية من الاتحاد رغم اختلاف اتجاهاتها وهل دام هذا الاتحاد طويلا؟

ولحل هذه الإشكالية اتبعنا المنهج النقدي التاريخي مبرزين مختلف التحولات التي عرفتها الجزائر في تلك الفترة .

2ـ سياسة حكومة فيشي

عندما سقطت فرنسا في يد الألمان في جوان 1940)لاوند رمضان، 2006.)، سقطت حكومة بول رينوا (Paul Raynaud)، وتم الإعلان عن قيام حكومة موالية لألمانيا، وصارت تعرف باسم حكومة فيشي برئاسة المارشال بيتان (Pétain)، الذي اقتنع بالخطة الألمانية فأجرى تغييرات على رأسها تغيير شعار الجمهورية الفرنسية من "حرية، مساواة ،إخاء" إلى شعار " العمل، الأسرة، الوطن" (جبران مسعود ، 1944، ص 105).

كان لردود الفعل في الجزائر أثر كبير لهزيمة فرنسا أمام ألمانيا، تلك الهزيمة التي أدرك الجزائريين من خلالها ضعف فرنسا و في نفس الوقت أعجبوا بألمانيا النازية، واعتقدوا أنها محررة الشعوب المستعمرة، خاصة وأن إذاعة برلين كانت تنشر للعالم أجمل مبادئ عن حرية الشعوب(أبو القاسم سعد الله، ص 173).

وكما كان متوقع تغير الأوضاع في فرنسا انعكس على الجزائر، حيث تم تنصيب لجان الهدنة الألمانوا-ايطالية، وقام بيان(Pétain) بإرسال الأميرال أبريال (Abrial)، ليحل محل لوبو (Le Beau)، كحاكم عام على الجزائر (المرجع نفسه، ص176).

الملاحظ أن حكومة فيشي، لم تأتي بجديد، فالقوانين الاستثنائية ظلت سارية المفعول وبقي القمع مسلطا على الحركة الوطنية (مصطفى سعداوي، الجزائر، 2009، ص 21). والشيء الوحيد الذي قامت به تلك الحكومة هو إلغاء مرسوم كريميو (1870) (93-p-1-2005, Patrick weil.) الذي يمنح حق التجنس لليهود (أدولف كريميوا (Adolphe 1796-1880 (Crémieux، دكتوراه في الحقوق، وزير للعدل في الحكومة المؤقتة عام 1848، وكذلك في حكومة 1870، عين نائبا في مدينة الجزائر من 1872 الى 1875، وكان له دور كبير في صدور مرسوم الذي سمي باسمه، والذي سمح لليهود بالحصول على الجنسية الفرنسية بصورة جماعية عام 1870).

لقد نشطت الدعاية الألمانية في فترة حكومة بيتان (Pétain)، حيث خصصت إذاعة راديو برلين وراديو باريس الدولي حصصا بالعربية لصالح الجزائريين، (Slimane Chikh, Paris, 1981, p 62) تحدثت فيها عن أمجاد ألمانيا وبطولات هتلر وتذكرهم بمزايا حكومة فيشي التي تعمل على تحسين أوضاعهم وتحرضهم في ذات الوقت على دول الحلفاء (يوسف مناصرية، الجزائر، ماي 2003، ص143).

كما ظهرت بعض الصحف التي أشادت بالنظام الجديد الذي يمثله هتلر، واستنكرت أعمال الديمقراطيات الرأسمالية »بريطانيا وأمريكا» ومن تلك الصحف نذكر: La dépêche Algérien،Dernière Nouvelle ،La Voie des Colons ، كانت هذه الصحف تنشر أخبار عن الألمان و عن بيتان (Pétain)، وتحمل شعارات خاصة بالدولة الفرنسية، وتنتقد اليساريين والإنجليز، إلى جانب مجلة (Le Signal) المطبوعة في برلين والتي كانت تصل إلى عمالة وهران عبر فرنسا، حيث وصل العدد العاشر منها إلى وهران سنة 1942 ولقيت رواجا واسعا في الأوساط المساندة للمحور (A.W.O : Carton 623, Décembre 1942 ;n°.4477) ، إلى جانب مجلة العالم العربي المطبوعة في لشبونة، و التي حجز عدد منها في وهران

خلال شهر جويلية 1943 (A.W.O ; Carton 4477, n° 2279 du 14/07/1943.).

وخلال حكومة فيشي طرح الألمان فكرة تقسيم الجزائر إلى ثلاثة أقسام هي: منطقة قسنطينة مع تونس تعطى لإيطاليا، ومنطقة وهران تعطى لإسبانيا، أما منطقة الجزائر العاصمة فتحتفظ بها فرنسا(Jacques Cantier, Paris Mars 2002, p 43) ، كما أبقت على 54000 جندي في الجزائر، وذلك حفاظا على الأمن والنظام في الداخل، كما قررت حكومة فيشي إلغاء قانون كريميوا المتعلق بتجنيس يهود الجزائر، ومنع نشاط المحافل الماسونية بحكم أنها تعمل لصالح اليهود .

بالإضافة إلى برنامج إصلاح اقتصادي واجتماعي، غير أن الملاحظ أن الحالة الاقتصادية في حكم فيشي ازدادت سوءا بحيث انخفض مخزون الحبوب (André Nouchi, Paris, 1962.)، فالإنتاج الجزائري لهذه المادة أصبح مسخرا لخدمة دول المحور بما فيها ألمانيا، ايطاليا وفرنسا(Charles Robert Agéron, Paris 1979.). كما عرفت تلك الفترة ارتفاع في الأسعار وندرة في السلع والمواد الأولية، وزيادة في الضرائب على الجزائريين في المنتجات الغذائية خاصة الحبوب، التين، والتمر (La Voix Indigène, n° 514, 11 Juillet 1940).

لم تدم تلك الحالة فترة طويلة بحيث بدأت أجراس الحرب العالمية الثانية تدق في الأفق وأمام الطلب الجديد، ونتيجة وصول أعداد كبيرة من قوات التحالف إلى الجزائر قام الجيش الفرنسي بالاستحواذ على عدد هائل من المنشآت وتسخيرها كمستشفيات وأماكن تخزين للأدوية أو ثكنات ومنشآت عمومية وحتى مدارس وثانويات، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح بيد الجيش الفرنسي أكثر من 100 مستشفى عسكري.

وقد أتاحت الحرب العالمية الثانية بفعل اختلاط مؤطري الجيش الفرنسي وقوات التحالف خاصة الأمريكية بالعمل سوية. وكان ذلك اختلاطا مثمرا سمح للجيش الاستعماري مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بالقيام ببرنامج كبير لتجديد منشآته الإستشفائية وعصرنة آليات عمله (Ibid.).

ونظرا للظروف الاقتصادية الصعبة التي كان يعيشها الجزائريون سنة 1941 انعكست سلبا على حالتهم الصحية، فانتشرت الأمراض والأوبئة، وعلى رأسها مرض السل (Tuberculose) حيث عرف انتشارا واسعا بين العمال في المدن، وفي هذا الصدد يذكر ليفي فالانسي (Lévy Valenci)، سنة 1946 بأن عدد الجزائريين المصابين بالسل (Tuberculose) خلال عهد حكومة بيتان وصل إلى أكثر من 25000 ألف شخص(يحي بوعزيز، الجزائر، 1995، ص 94)، ونتيجة لسوء التغذية وتناول الجزائريين لنباتات غير صالحة للتغذية أصيب الكثير منهم بأمراض الجهاز التنفسي الصدري والجهاز الهضمي وأمراض الملاريا (جيلالي صاري، محفوظ قداش، الجزائر، 1987، ص209).

إلى جانب ظهور مرض التيفوس (Typhus)، أو الحمى الصفراء، التي أصابت عدد كبير من السكان، إذ أشارت الكتابات التاريخية أن عدد المصابين التيفوس (Typhus) سنة 1941 قد بلغ حوالي 200.000 حالة(Charles Rober Agéron, P553.)، ليرتفع سنة 1942 إلى 233.380(بشير بلاح، ص 174).

وقد كانت هناك محاولات من قبل الحكومة الفرنسية بقيادة الحاكم العام ماكسيم ويقان (Maxime Weygand (né à) Bruxelles le 21 janvier 1867, mort à Paris le 28 janvier 1965 (à 98 ans), est un officier général français, membre de l'Académie française. Il a joué un rôle majeur (lors des deux guerres mondiales) ، لإيجاد علاج لمرض التيفوس (Typhus)، خوفا من انتشاره وسط المستوطنين، فقد جربت العديد من اللقاحات على المصابين وخاصة في مقاطعة قسنطينة، ونظرا لأن أغلب الأطباء والممرضين تم تجنيدهم في الحرب العالمية الثانية استمرت الأمراض في الانتشار حتى بعد نزول الحلفاء في نوفمبر سنة 1942 (Raymond Cartier, Paris, 1956, P30.).

ونظرا لسوء الأحوال الصحية وأمام نقص الخدمات الصحية، ارتفع عدد الوفيات في الجزائر خلال عهد حكومة فيشي، فارتفع عدد الوفيات من 111.850 عام 1939 إلى 153.512 سنة 1941، ليصل سنة 1942 إلى 233.388 أي بزيادة قدرت بـ 108%(Charles Robert Agéron, p 553) ، كما عرفت هذه الفترة ظاهرة موت الأطفال حديثي الولادة (Mortalité Infantiles)، فبمجرد أن يولد الطفل حيا ثم يموت، لانعدام الوسائل الصحية (يحي بوعزيز، ص 95)، و نقص عدد الأطباء والممرضين في المدن وانعدام أدنى الشروط الصحية بالأرياف، فأغلب الأطفال كانوا يولدون في البيوت، باستثناء قلة قليلة من أبناء الأعيان الذين ينجبون في المستشفيات إلى جانب الأطفال الأوربيين (أحمد توفيق المدني، ص 135).

3ـ إنزال الحلفاء خلال شهر نوفمبر 1942 (Opération torche)

لقد عمدت دعاية الحلفاء من خلال إذاعة موسكو، واشنطن ولندن على إثارة العالم ضد النازية في إطار ما يسمى بالدعاية المضادة (Ferhat Abbas, Alger 2011, p 133.)، كانت إذاعة لندن مركز لدعاية فرنسا الحرة بزعامة الجنرال شارل ديغول (Charles de Gaulle) (قائد عسكري و رجل دولة فرنسي(1890-1970)، مؤسس الجمهورية الخامسة، و أبرز قادة فرنسا في القرن العشريين، كان له دور في إنقاذ فرنسا مرتين، الأولى إثر هزيمتها العسكرية في الحرب العالمية الثانية، أين أسس حكومة فرنسا الحرة بلندن، والثانية عند تدهور أحوال الجمهورية الرابعة تحت الحرب الفيتنامية-الفرنسية (1945-1954)، والثورة الجزائرية (1954-1962)، أصبح رئيسا للجمهورية الفرنسية الخامسة من 1959 الى 1969 حيث اعتزل العمل السياسي) ، حيث ركزت دعاية الحلفاء على مبادئ الميثاق الأطلسي الذي انعقد في أوت 1941 (الميثاق

الأطلسي احتوى ثمانية مواد ركزت على احترام الحريات الفردية والجماعية، وحق الشعوب في اختيار أنظمتها، والمساواة ورفض أي شكل من المساومات الترابية، و حرية التبادل و التكامل الاقتصادي والتجاري، ونبذ التسليح)، والذي ركز على الحرية والاستقلال وحق الشعوب في تقرير مصيرها (Gilbert Meynier, Alger, 2003, p 61.).

أما موقف الولايات المتحدة الأمريكية من إنزال الحلفاء بالجزائر، كان منع دول المحور من احتلالها و كذا الحفاظ على الوجود الفرنسي هناك، لقد اتخذ قرار الإنزال في اجتماع ضم قيادات الحلفاء الإنجليز والأمريكان وحكومة فرنسا الحرة في لندن يوم 23 جويلية 1942(Jean Lacouture, 1984, p 597.) ، حيث وضعت قيادة الأركان المشتركة لتلك الدول مشروع الإنزال بشمال إفريقيا، أعطيت له تسمية سوبر- جيمناست- ثم أصبحت تسمى بعملية تورش «Torche» باقتراح من البريطاني تشرشل، فعين الجنرال الأمريكي إيزنهاور (دايفيد دواليت ايزنهاور (1890-1969)، انظم إلى كلية وست بوينت العسكرية، تخرج منها برتبة ملازم ثان في سلاح المشاة في الحرب العالمية الثانية تم تعيينه كقائد للقوات الأمريكية في أوربا، أين تمت ترقيته إلى رتبة فريق سنة 1942، و تم تكلفه بقيادة عمليات الحلفاء بشمال إفريقيا، كما عين سنة 1950 قائد القوات شمال الحلف الأطلسي« NATO »، ثم أصبح رئيس للولايات المتحدة الأمريكية سنة 1953، لغاية 1961) قائدا عاما مشرفا على العملية (عبد القادر جيلالي بلوفة، الجزائر، 2011، ص 59).

كانت أهداف السياسة الأمريكية قبل النزول في الجزائر واضحة إذ كانت تهدف إلى :

1- استعادة استقلال فرنسا في أروبا وفي ما وراء البحار.

2- إعادة السيادة الفرنسية في جميع المناطق التي سبق للعلم الفرنسي أن رفرف عليها سنة 1939 سواء في فرنسا نفسها أو في المستعمرات.

3- إيجاد إدارة مستقرة ناجحة والعمل تحسين الأوضاع الاقتصادية وإعادة تطبيق بنود قرار كريميو إلى اليهود (شايب غزواتي قدادرة، جامعة منتوري قسنطينة 2007-2008، ص 145).

4- في حالة قيام عمليات عسكرية في فرنسا أو في المستعمرات، والجزائر تعتبر جزءا من فرنسا وليس مستعمرة فإن السلطات الأمريكية لن تتدخل بأية طريقة في هذه القضايا لأنها تعتبرها من اختصاصات السيادة الفرنسية وكان موقف الإنجليز هو نفسه مبنيا على احترام السيادة الفرنسية، ومع ذلك قدم الجزائريون عريضة عرفت باسم مذكرة الجزائريين إلى الحلفاء في ديسمبر 1942 طالبوا فيها بمساعدتهم على التخلص من الاستعمار عن طريق عقد ندوة لوضع دستور للمسلمين الجزائريين.

ومن خلال الأهداف يتضح بأنها جاءت جميعها لخدمة فرنسا باعتبار القضية الجزائرية شأن داخلي فرنسي.

وفي 12 نوفمبر1942 وقع الجنرال الأمريكي كلارك «Clark» والأميرال الفرنسي دارلان «Darlan» على اتفاق جددوا فيه احترام السيادة الفرنسية على منطقة الشمال الإفريقي، وفي حالة الخطر على السلطة الفرنسية تتخذ الإجراءات الضرورية بالتنسيق مع القائد الأمريكي، كما نص الاتفاق على إطلاق سراح جميع مساجين الدول الحليفة القابلة لمبادئ الميثاق الأطلسي في الجزائر، لكن الاتفاق لم يتعرض إلى المساجين السياسيين الجزائريين (أبو القاسم سعد الله، ص 199).

ونتيجة لعملية الإنزال تزايدت الدعاية الألمانية المضادة، حيث قامت دول المحور بتوزيع مناشير سرية تدعوا المسلمين للثورة ضد الحلفاء، وذلك ما دعت إليه المحطات الإذاعية التابعة لها (الجزائر إبراهيم لونيسي، الجزائر، 2001، ص 78-79)، أين لعبت الدعاية والجوسسة دورا مهما في ذلك الصراع، خاصة لدى النازية التي بدأت تتراجع(عبد القادر بلوفة، ص 63-64).

4- ردود الفعل و موقف الحركة الوطنية من حكومة فيشي و من الإنزال

والسؤال المطروح كيف استغل **قادة الحركة الوطنية** وعلى رأسهم في فرحات عباس نزول الحلفاء بشمال إفريقيا سنة 1942 ؟

فقد رحب الجزائريون بنزول الحلفاء (الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا)، واعتبروها فرصة مشجعة لطرح قضية حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، خصوصا بعد تصريح الرئيس الأمريكي روزفلت باسم الحلفاء حق الشعوب في تقرير مصيرها(رخيلة عامر، الجزائر 1995، ص37) وعلى هذا الأساس، **قام قادة الحركة الوطنية** و على رأسهم فرحات عباس بتقديم مذكرة للسلطات الفرنسية والقيادة الحليفة يوم 1942/12/22 جاء فيها :

* إنشاء جمعية تأسيسية جزائرية على أساس حق الانتخاب الشامل ينتج عنها دستور سياسي اقتصادي واجتماعي جديد للجزائر إلا أن السلطات رفضت استقبال المذكرة الجزائرية كما رفضتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بدعوة أنها تخص الفرنسيين.

لقد ظهرت الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الثانية، حيث شهدت الجزائر حركة سياسية نشطة لم يسبق لها مثيل قي فترة ما بين الحربين، والتي تبلورت واتضحت معالمها بعد الحرب العالمية الثانية.

كانت معالمها محددة في عدة اتجاهات سياسية هي :

أ- اتجاه المساواة : مثله في البداية الأمير خالد، ثم تطور إلى المطالبة بالتجنيس والاندماج وهي تجربة ابن جلول وفرحات

عباس وكانت هذه التجربة فاشلة بسبب رفض كل من الجزائريين والفرنسيين.

ب- الاتجاه الاستقلالي : يمثله حزب الشعب الجزائري الذي تأسس في مارس 1937 برئاسة مصالي الحاج وهو امتداد لنجم شمال إفريقيا. وقد لعب هذا الحزب الدور الكبير والفعال في الحركة الوطنية الجزائرية.

ت- الاتجاه الإصلاحي : تبلور هذا الاتجاه على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس وأنصاره، حيث أسسوا في مايو 1931 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بهدف الدفاع عن شخصية الجزائر وعروبتها.

لم تنجح تلك المنظمات السياسية في تحقيق ما أنشأت من أجله رغم اختلاف أراء واتجاهات أصحابها وتأييد بعضهم للاستعمار على حساب الوطن وهذا بعد القرار الصادر عن الحكومة الفرنسية والقاضي بحل وشل كل أنواع النشطات السياسية ذات الطابع السياسي وسجن أصحابها وهذا بتاريخ 1939/09/29 اثر اندلاع الحرب العالمية الثانية.

لقد اتسمت الساحة السياسية في الجزائر عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية بفراغ سياسي(Benyousef Benkhadda, 1989,84 .Alger)، استمر حتى بعد قيام حكومة فيشي، فبعد عودة فرحات عباس من جبهات القتال في فرنسا في أوت 1940، وجد الساحة السياسية فارغة خاصة بعد وفاة الشيخ ابن باديس في أبريل 1940، ومصالي الحاج محكوم عليه بالأشغال الشاقة لمدة 16 سنة سجنا(Claude Collot et Robert Henry, 1978, p153.)، وتراجع جماعة النخبة وعلى رأسهم بن جلول.

استغل فرحات عباس التغيير الذي حصل في فرنسا فحرر تقرير بعنوان «جزائر الغد» سلمه للماريشال بيتان«Pitain» بتاريخ 10 أفريل 1941، حيث انتقد النظام الاستعماري، وقدم مجموعة من الاقتراحات وأعطى تصورا لجزائر الغد(عز الدين معزة، قسنطينة، 2004-2005، ص150). يعتبر التقرير بمثابة دراسة اقتصادية وسوسيولوجية للجزائر في تلك الفترة خاصة الجزء المتعلق بإصلاح الفلاحة، التعليم و الصحة.

أما عن جمعية العلماء المسلمين، فبعد وفاة ابن باديس وضعت ثقتها في الشيخ الإبراهيمي، فواصلت نضالها القائم على تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية والنهضة العلمية، رغم مضايقات حكومة فيشي لها، وبعد تعيين الحاكم العام شاتيل (Chatel) أوت 1941، وجه أعضاء الجمعية عريضة إلى الجنرال يقاند (Weygande) حددوا فيها مفهوم الإصلاح، كما وجهوا لومهم للأعمال العدوانية من طرف ممثلي حكومة فيشي ضد أعضاء الجمعية و طالبوا بإطلاق سراح الشيخ الإبراهيمي وأعضاء الجمعية المعتقلين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، إلغاء مرسوم 08 مارس 1938، الذي كان يستخدم كسلاح ضد الجمعية لتحطيم مؤسساتها، حرية التعليم في المساجد وحرية تعليم اللغة العربية (عبد الكريم بوصفصاف، قسنطينة، 1981، ص171).

5- ردود فعل الإدارة الفرنسية من الجزائريين

ظهرت فرنسا بمظهرين هما:

أ- مظهر القوة والترهيب: ويتجلى في حل كل الأحزاب السياسية، اعتقال الزعماء الوطنيين وسجنهم، نفي بعض الزعماء خارج الوطن (مصالي الحاج)، إرغام بعض الزعماء على الإقامة الجبرية.(البشير الإبراهيمي) كما منعت الصحف والمجلات على الصدور ومضاعفة عملية التجنيد الإجباري للقادرين على حمل السلاح كما سخرت كل إمكانيات الجزائر الطبيعية والاقتصادية لخدمة الحرب.

ب- مظهر المودة والترغيب: ويتجلى في توزيع بعض الأراضي الزراعية على الجزائريين، تكريم معطوبي حروب فرنسا وتقريبهم منها، إلغاء قانون كريميو والتظاهر ببعض الإصلاحات.

6- موقف الحركة الوطنية وبيان فيفري 1943

إن الإجراءات التعسفية التي قامت بها فرنسا إبان وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وهذا في الفترة الممتدة بين 1939-1942 أدت إلى شل كل أنواع الأنشطة السياسية في الجزائر خلال تلك الفترة غير أن نزول الحلفاء بمنطقة شمال إفريقيا في 1942/11/08 وهم يحملون معهم عدة مبادئ من بينها حق الشعوب في تقرير المصير ولتطبيق هذا الأخير قاموا بإطلاق معظم الزعماء السياسيين باستثناء مصالي الحاج وقد أدى إطلاق سراحهم إلى ظهور نشاط سياسي كبير تجلت مظاهره في بيان فيفري 1943.

بيان فيفري عام 1943

كيف نفسر توحد التيارات الوطنية رغم ظروف الحرب؟

كانت أحداث الحرب العالمية الثانية سببا في زيادة انتشار الوعي الوطني وتناسي الأحقاد، حيث رأت الطبقة السياسية في الجزائر ضرورة وضع برنامج سياسي يطرح مشكلة النظام المقبل، ونتيجة لذلك انعقد اجتماع 1943/02/03 ضم أنصار حزب الشعب، العلماء والنواب وأعدوا بيان حرره فرحات عباس يوم 1943/02/10 سلم للوالي العام الفرنسي بالجزائر "المارشال بيرتون" ونسخا لممثلي حكومة فرنسا الحرة وممثلي بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وأهم ما يقال عن هذا البيان أنه شكل نقطة اجتماع التفت حولها تيارات الحركة الوطنية الجزائرية المختلفة، في ظروف حرجة و مصيرية يمر بها الشعب الجزائري، فجاء البيان شاملا لمطالب موحدة على شكل مذهب سياسي واضح المعالم، حيث استطاع أن يجمع بين التيارات السياسية (عبد القادر جويبة، ص 46).

وأهم ما تضمنه البيان :

- القسم الأول تضمن تقرير عام عن وضع الجزائر منذ نزول

الحلفاء.

- القسم الثاني تعرض إلى أهمية الحربين العالميتين في تحرير الشعوب باعتبارها ظاهرة تاريخية.

- القسم الثالث تحدث عن العلاقات الفرنسية الجزائرية منذ 1830، وحديث عن الاستعمار، والاستغلال والتفرقة العنصرية.

- القسم الرابع تعرض إلى الإصلاحات الفرنسية السابقة، واندلاع الحرب العالمية الثانية وأهمية إنزال الحلفاء بالجزائر.

- القسم الخامس تضمنا المطالب الأساسية للجزائريين.

وجاء البيان بمثابة تقييم شامل للمراحل التي مرت بها الجزائر خلال الاستعمار الفرنسي، وما ترتب عن ذلك من انعكاسات سلبية على المجتمع الجزائري، إلا أنه تعرض أيضا إلى بعض الجوانب الايجابية والاعتدال، كتنويه بمبادئ الثورة الفرنسية ودورها في صقل أفكار النخبة الجزائرية، بالقيم والمبادئ التحررية والإنسانية (سعد الله أبو القاسم، بيروت، 1992م، ص 209).

كما جاء في البيان الحديث عن أسباب فشل الإصلاحات الفرنسية، ومنها سياسة الإدماج، إلى كون أن الإصلاحات بقيت حبر على ورق، و أنها لم تعرف تطبق،لأن زمام الأمور بالجزائر كان بيد العنصر الأوروبي في الوقت الذي همش فيه الطرف الجزائري (عبد القادر جويبة، ص 47).

اعتبر بيان فيفري 1943 منعطفا خطيرا في تطور الحركة الوطنية، ولأول مرة في تاريخ الاحتلال، تواجه فرنسا زعماء الجزائر مجمعين في اتجاه واحد (توفيق برو، الجزائر، 1982م، ص12). فبرغم اختلاف آراء واتجاهات زعماء الحركة الوطنية الجزائرية في فترة ما بين الحربين إلا أنهم وحدوا آراءهم و لأول مرة وهذا بإصدار بيان فيفري .

أسباب ودوافع ظهور هذا البيان إلى:

1- تعهد الحلفاء بتطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير المصير.

2- نزول الحلفاء بمنطقة شمال إفريقيا وتحريرها من النازية وحلفائها.

3- إطلاق الحلفاء لسراح معظم السياسيين الجزائريين.

4- السماح لزعماء الحركة الوطنية بممارسة نشاطهم السياسي.

5- تعيين بير- تون والي عام على الجزائر.

6- تعهد بير - تون بإصدار إصلاحات خاصة بالجزائريين.

7- ظهور فكرة تقسيم الجزائر على لسان حكومة فيشي العميلة بباريس.

8- تعيين فرحات عباس لتحرير هذا البيان.

المطالب التي احتواها البيان

أ- إدانة الاستعمار والقضاء عليه (Ferhat Abbas, Alger 2011.p 135).

ب- تطبيق مبدأ تقرير المصير على جميع الشعوب الصغرى والكبرى(Abderrahmane Kiouane, Alger, p 62).

ت- منح الجزائر دستور خاص بها يخدم مصالح الجزائريين يشمل :

1- الحرية والمساواة المطلقة لكل السكان بدون تمييز عرقي أو ديني.

2- إلغاء الأنظمة الإقطاعية و تطبيق الإصلاح الزراعي.

3-الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية ثانية بالجزائر(Claude Collot et Robert Henry, p 164).

4- حرية الصحافة وقانون الجمعيات.

5- إقرار التعليم المجاني والإجباري على أبناء الجزائريين (الجيلالي صاري، محفوظ قداش، الجزائر، 1987، ص74).

6- حرية الديانة لكل السكان، وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة (عبد الحميد زوزوا، الجزائر، 1997، ص224).

7- مشاركة الجزائريين العاجلة في حكم وإدارة بلادهم.

8- إطلاق سراح جميع المعتقلين والمساجين السياسيين المحكوم عليهم.

أما الملحق الذي حرر بطلب من الإدارة الاستعمارية، فقد احتوى قسمين، الأول حمل مطالب مؤجلة إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، أهمها تشكيل دولة جزائرية ذات دستور مميز، يتولى وضعه مجلس تأسيسي منتخب بالاقتراع العام، أما القسم الثاني فشمل مطالب عاجلة، كمشاركة الجزائريين في الحكم، و تحويل الولاية العامة إلى حكومة جزائرية، بالإضافة إلى مطلب فتح كل الوظائف أمام الجزائريين، وإلغاء القوانين الاستثنائية الزجرية (A.N.O.M, GGA/ Boit 9H/45).

المواقف المختلفة من البيان

موقف الحاكم العام الفرنسي: وافق بير تون (Bertrand) على البيان دون الرجوع إلى حكومته مما أدى إلى عزله وتعيين الجنرال كاترو(Catraux) مكانه في 11 جوان 1943(A.N.O.M, GGA/ Boit 9H/45) وقد رفض هذا الأخير الاعتراف أو حتى محاورة الجزائريين. و أكد على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا.

موقف الحلفاء: وقف الحلفاء موقفا محايدا واعتبروا القضية داخلية غير أنهم أكدوا مؤازرتهم لفرنسا في حالة حدوث حرب ضدها.

وكمحاولة لاحتواء الوضع قامت السلطات الفرنسية بإصدار ستة (6) مراسيم بتاريخ 6 أوت 1943 تضمنت دخول بعض الجزائريين في الوظائف العامة، إنشاء منصب للمسلمين

كنائب لرئيس البلديات الكاملة السلطات، توسيع التعليم الأهلي الابتدائي العام والخاص، بالإضافة إلى تخفيض بعض أسعار السلع(André Nouchi, pp 136-137).

رفض فرحات عباس الاعتراف بتلك الإصلاحات والتي اعتبرها هزيلة و طالب بضرورة الاعتراف بالبيان وملحقه، مما أدى إلى اعتقاله ورئيس المندوبات المالية العربية عبد القادر السايح(Ferhat Abbas, p 141).

أما **الجنرال ديغول** فقد رد من خلال زيارته لقسنطينة في أبريل 1943 والإعلان عن تأسيس لجنة لدراسة الشؤون الأهلية. وفي 7 مارس 1944 أصدر مرسوما يقضي بمنح المواطنة الفرنسية لعدد من النخبة الجزائرية دون التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية(نادية حرز الله، الجزائر، 1977، ص 164) مع منح استفادة مالية للمحاربين الجزائريين وتأجيل النظر في مستقبل الجزائر إلى ما بعد نهاية الحرب.

موقف الحركة الوطنية الجزائرية: لقد قوبل هذا المرسوم باحتجاج شعبي واسع و تنديد من طرف القوى الوطنية التي رفضته رفضا قاطعا وأمام هذه المواقف أنشأ فرحات عباس "جبهة أحباب البيان والحرية" في 14 مارس 1944 تضم جميع القوى السياسية، جمعية العلماء المسلمين وحزب الشعب وحزب التجمع الفرنسي الجزائري لفرحات عباس، وهذا ما تأكده تقارير المصالح الأمنية الفرنسية آنذاك(A.N.O.M GGA boite 11H/55). وهكذا أصبحت كلمة الجزائرون لأول مرة موحدة، وتسير تحت هدف واحد، وهو الحصول على الاستقلال والحرية (عبد الكريم بوصفصاف، الجزائر، ص 265).

إلا أن التجمع لم يدم طويلا بسبب الخلاف الذي وقع في المؤتمر الذي انعقد سنة 1945، بين أعضاء حزب الشعب الجزائري، الذين تمسكوا بفكرة إنشاء حكومة برلمان، في حين أيد فرحات عباس بقوة فكرة قيام جمهورية مستقلة ذاتيا، متحدة فيدراليا مع فرنسا (إبراهيم العسكري، الجزائر، 1992، ص 44-45).

هذا عن الوضع السياسي، أما عن الوضع الاقتصادي فبطبيعة الحال الوضع زاد تعقيدا بعد الحرب العالمية الثانية إذ تدهورت الأوضاع الاقتصادية بصورة مذهلة ومخيفة مابين 1940-1942م، وتوالت المحن والنكبات على البلاد، فقل الإنتاج الزراعي بسبب قلة الأيدي العاملة التي سخرت في الحرب. ولم تسلم الثروة الحيوانية التي تناقصت هي الأخرى (محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1984، ص41).

وزاد في خطورة الوضع الاقتصادي والاجتماعي انقطاع العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وفرنسا، مما أدى إلى تضرر الطبقات الشعبية الفقيرة، ومصادرة فرنسا للأملاك الجزائرية وتضيق الخناق على زعماء الحركات الوطنية وسجنهم لأتفه الأسباب بحجة الحرب والطوارئ (عبد القادر يحياوي، الجزائر، 1982م ، 68).

والجدير بالذكر أنه قد رافق هذه الظروف غزو الجراد خلال سنتي (1944-1945م) مما أدى إلى إتلاف المنتجات الزراعية، خصوصا في منطقة قسنطينة أين تأثرت زراعة الحبوب (نصر الدين سعيدوني، ص13). فانخفاض المنتجات الزراعية لا يرجع إلى تجريد الجزائريين من الأراضي الزراعية فحسب، وإنما إلى تحويل هذه الأراضي إلى مزارع للكروم بدلا من القمح و الشعير، فانخفاض الإنتاج الزراعي والحيواني أدى إلى ارتفاع الأسعار مقارنة مع سنة 1939م، إذ ارتفعت بنسبة 34% عام 1940، و 75% في 1941، 101% عام 1942 و 171% عام 1943 (عبد القادر جويبة، ص35).

هذا عن الجانب الزراعي أما فيما يخص المجال الصناعي فركزت فرنسا على فرض نمط خاص من الصناعة التي يغلب عليها الطابع الاستراتيجي كالمناجم أو التجاري كالخمور وغيرها (محمد العربي الزبيري، ص 43)، فانحصرت عموم الاستثمارات في هذا القطاع في الصناعة التحويلية مثل صناعة الخمور وصناعة الأثاث بالإضافة إلى الصناعة الإستراتيجية المنجمية بغرض تصديرها (عبد الكريم رمضاني، الجزائر، 1982، ص 105).

ومن أهداف هذه السياسة إبقاء الجزائر مرتبطة بفرنسا اقتصاديا، وسوقا مفتوحا لصناعتها وسلعها، وهذا ما يؤكده تصريح مدير الشؤون الاقتصادية بالجزائر عام 1944م (عبد القادر جويبة، ص 36).

إن تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية انعكس سلبا على الوضع الاجتماعي للشعب الجزائري لاسيما أثناء الحرب العالمية الثانية، فالمجتمع الجزائري كان منقسم آنذاك إلى مجموعتين من السكان:

- الأولى تضم الأقلية الأوربية وعددها 800 ألف نسمة، استحوذت على أهم الهياكل الاقتصادية والاجتماعية في البلاد وبذلك أصبحت تحتل مركزا مرموقا، حيث جمعت المال والنفوذ السياسي (عبد القادر جويبة، ص 38).

- أما الثانية فتشكل الأغلبية و تضم أفراد الجزائريين بعشرة ملايين (10) نسمة، تحتل هذه المجموعة المركز الأدنى في السلم الاجتماعي، وقد أجبرت على العيش على هامش المجتمع الأوربي، وتعاني الفقر والحرمان والبطالة والمرض (رابح تركي، الجزائر، 1981، ص90-91). بالإضافة إلى تجريد معظم أفرادها من أراضيهم، الشيئ الذي دفع بهم إلى الهجرة سواء الداخلية أو الخارجية، ونتيجة للمجاعات والفقر فقد تدهورت الحالة الصحية للفرد الجزائري فظهرت عدة أمراض كالزهري والسل والتيفوئيد في الفترة الممتدة من 1941 إلى 1943، مما أدى إلى ارتفاع نسبة الوفيات خصوصا بين عامي 1945-1946 (عبد المجيد جويبة، ص 39).

7ـ حوادث 8 ماي 1945 و انعكاساتها

إن الظروف المعيشية للشعب الجزائري إلى غاية الحرب العالمية الثانية والذي تسبب في معظمها الاستعمار بسياساته غير العادلة والتي أدت إلى نوع من الاحتقان السياسي لدى الجزائريين، الشيء الذي دفعهم للتفكير في وسائل أخرى لتحقيق أهداف جديدة غير التي كانت من قبل، وقد تجلى ذلك بوضوح في أحداث الثامن ماي 1945 والتي اختلفت المصادر والباحثون معا في تحديد أسبابها الحقيقية، فمنهم من يرجعها إلى أسباب اقتصادية، و آخرون ينسبونها إلى دوافع سياسية، وهناك من يعللها بالدين أو بواقع الحرب وتأثيرها (عبد المجيد جويبة، ص 64). إن حوادث الثامن ماي 1945م لم تكن بسبب الضائقة الاقتصادية والجوع، كما ذهبت العديد من التقارير الفرنسية بل بدافع التحرر، فهي ليست انتفاضة بطون بقدر ما هي انتفاضة تحرير(سعد الله أبو القاسم ، ص 39) ، وهذا ما أكده الكولونيل شون (Chone) بقوله "إنني لم أسمع في تاريخ إفريقيا الشمالية الحديثة بمظاهرات أو ثورات قامت فيها بسبب الجوع (عبد الرحمان ابراهيم بن العقون، الجزائر، 1984، ص 355).

وبناء عليه يمكن القول أن الوضع الاقتصادي المتأزم الذي عاشته الجزائر لم يكن سوى ظرف مهيأ وعامل مساعد على تطور تلك الأحداث، لأن الدافع الحقيقي يكمن في موقف الإدارة الفرنسية والمعمرين الرافض للمطالب الوطنية، من جهة وإلى نمو الوعي السياسي لدى الجزائريين من جهة أخرى فبعدما كانوا يطالبون بالمساواة أصبحوا يطالبون بالاستقلال (عامر رخيلة، الجزائر، 1995، ص 68).

وهذا ما تأكدت منه الإدارة الفرنسية، حيث أصبح واضحا أن الشعب الجزائري اقتنع أكثر من أي وقت مضى بحقه في الحرية والاستقلال، فحاولت الإدارة الفرنسية إرضاءهم بتقديم برامج إصلاحية اقتصادية واجتماعية وسياسية، الغرض منها ربح الوقت من جهة و احتواء ردود فعل الحركات الوطنية من جهة أخرى (مومن العمري، الجزائر، 2003، ص63).

وكما ذكرنا سابقا جاء مرسوم ديغول (De Gaule) 7 مارس 1944، الداعي الى الإدماج والتجنس، والذي لقي معارضة شديدة من المعمرون الأوربيون، فزاد الضغط على حركة أحباب البيان والحرية الداعية إلى إقامة دولة جزائرية (يحي بوعزيز، الجزائر، 1987، ص 185). و في هذا السياق اعترف ليسترادكاربونيل (Lestrade Carbonnele) للدكتور سعدان " ستقع اضطرابات عن قريب يحل على إثرها حزب عتيد (محمد عباس، الجزائر، 2004، ص 185).

وبالفعل شهدت الجزائر أحداث مؤلمة ودموية، حيث ارتكب فيها المعمرون أبشع الجرائم، فما تعرضت له تلك المظاهرات كان هدفه ضرب حركة أحباب البيان والحرية، التي كانت شكلت خطرا على الإدارة الاستعمارية، حيث اعتقل فرحات عباس واديع السجن في صبيحة الثامن ماي 1945 كما حل الحزب ومنع أعضائه من ممارسة أي نشاط سياسي(عامر رخيلة، الجزائر، 1995، ص 69).

وفي تتبع دقيق لما ستنتهي اليه الحرب العالمية الثانية اجتمع أقطاب الحركة الوطنية الثلاثة فرحات عباس، مصالي الحاج، والبشير الإبراهيمي في 19 أبريل 1945 بقصر الشلالة، وفي سرية تامة، اتفقوا على مواجهة الإدارة الفرنسية.

في حين يذهب البعض الآخر إلى القول أن الزعماء الثلاثة قد اتفقوا على القيام بمظاهرات عارمة يوم احتفال الحلفاء بالنصر، للضغط على الفرنسيين من جهة، وإظهار قوة الحركة الوطنية ووعي الشعب الجزائري بمطالبه من جهة أخرى (أحمد مريوش، المجلة التاريخية، جامعة الجزائر 1997م، العدد 10، 129).

ونتيجة للنشاط السياسي المتزايد لحركة أحباب البيان والحرية، وردت العديد من التقارير الفرنسية التي تتهم الحركة الوطنية بعناصرها الثلاثة (حزب الشعب، حركة أحباب البيان والحرية، جمعية العلماء المسلمين) على أنها المتسببة في انتفاضة الثامن ماي 1945، فكان الهدف من وراء كل ذلك هو التحرش بالحركة الوطنية وضربها إذ تم إلقاء القبض على كل الزعماء السياسيين(فرحات عباس، الدكتور سعدان، الشيخ الإبراهيمي والعربي التبسي)، كما تم حل حركة أحباب البيان والحرية (عبد الكامل جويبة، ص 75).

تركت حوادث 8 ماي 1945 في قلوب الجزائريين جرحا لا يندمل، وحطمت آمالهم المعلقة على وعود فرنسا والحلفاء بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وأكبر صدمة أصابت وجدان الشعب الجزائري هي تصدع الحركة الوطنية الجزائرية التي ظهرت قوية ومتينة مجسدة في حركة أحباب البيان والحرية، ولهذا وجد الجزائريون أنفسهم في مرحلة جديدة تختلف عن المراحل السابقة، وعليهم أن يواجهوا الأوضاع الجديدة بعد أن اجتازوا مأساة الثامن من ماي 1945 لاسيما أن أحداثا جديدة بدأت تفرض نفسها على الساحة الدولية (عبد الرحمان بن إبراهيم العقون، ص 364).

وعلى رأسها الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي التي بدأت بوادرها تلوح في الأفق منذ انعقاد مؤتمر يالطا في الفترة من 5 إلى 11 فيفري 1945 والذي حضرته الولايات المتحدة الأمريكية، والإتحاد السوفييتي وبريطانيا، وغابت عنه فرنسا (شايب قداردة، مجلة العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، العدد 30، ديسمبر 2008، الجزائر).

حيث ركز المؤتمرون فيه على عدة قضايا منها : ضرورة تأسيس منظمة أممية، قضية تقسيم ألمانيا، قضية الحدود البولندية مع الإتحاد السوفييتي ومع ألمانيا (رياض الصمد، بيروت، 1986، ص ص 52، 54)، ومن مؤتمر يالطا انبثقت مسألة تقسيم مناطق النفوذ في العالم، وتطور الأمر إلى ما عرف باسم "الحرب

الباردة ، ثم انعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو وظهور هيئة الأمم المتحدة، يضاف إلى ذلك قيام الجامعة العربية (عبد الرحمان بن ابراهيم العقون، ص ص 390 -391) وتدعيمها لبعض القضايا العربية وأخيرا تشجيع الغرب لفرنسا على قمع الحركات الوطنية في مستعمراتها بكل الوسائل مثل مدغشقر والهند الصينية والجزائر (محمد الطيب العلوي، ص ص 228، 229).

وأهم ما ميز الحرب العالمية الثانية هو استخدام سلاح جديد لأول مرة في تاريخ الحروب هو القنبلة الذرية من قبل الولايات المتحدة ضد اليابان (هيروشيما وناكازاكي)، وقد فرض إطلاق هذا السلاح الفتاك التوقف الفوري للمعارك وانهزام دول المحور وهي ألمانيا، ايطاليا، اليابان دون أية شروط، كانت نهاية الحرب العالمية الثانية بداية لعهد جديد هو العصر النووي والسباق نحو التسلح (محمد تومي، طبيب في معاقل الثورة حرب التحرير الوطني، 1954-1962، ترجمة حضرية يوسفي، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين).

هذا عن أهم العوامل الجوهرية التي شهدتها الجزائر نتيجة الحرب العالمية الثانية وأهم التحولات التي شهدها العالم في ذلك الوقت ونتيجة عوامل محلية خاصة بالجزائر ونعني بها القمع الاستعماري الفرنسي الذي تجلى في أبشع الصور خاصة خلال أحداث ماي 1945 .

وقد أعطى اندلاع حرب الجزائر الفرصة للجيش الاستعماري من زيادة إصلاح وعصرنة القطاع الصحي بفضل الدعم الذي قدمته منظمة الحلف الأطلنطي، وهكذا قام الجيش الفرنسي بتطوير الطب الاستعجالي وترحيل الجرحى وتنظيم الوحدات الصحية.

كما قام الجيش الفرنسي كذلك باستغلال أطباء الخدمة الوطنية وإعطائهم مهمة تغطية طلبات الصحة للمعمرين المعزولين في الريف أمام هجرة الأطباء الأوروبيين المدنين. وكلفت نفس المهمة لهؤلاء الأطباء بالنسبة للمحتشدات التي أقامها الجيش الفرنسي، هذه المحتشدات التي كانت تضم قرابة مليونين ونصف جزائري كانت تخضع كلية لسلطة جيش الاحتلال (مصطفى خياطي، ص 383).

وبعد وصول الجنرال ديغول ورغبته الملحة في الولوج بفرنسا في النادي المصغر للدول النووية سمح أيضا للطب العسكري الفرنسي بالتطور بهذا المجال، وبصفة أعم في مجال أسلحة الدمار الشامل، ومن المعروف فإن الجنوب الجزائري بقي طيلة الاحتلال تحت السلطة العسكرية بما في ذلك جانبه الصحي وكان عدد الأطباء في جنوب الجزائر 1918 لا يتعدى 20 ثم ارتفع إلى 31 طبيب سنة 1946 ليبلغ 70 طبيب سنة 1958 إلى أن يصل إلى 150 طبيب سنة 1961.

وتعود مسألة مضاعفة عدد الأطباء الجنوب عدة مرات في 6 سنوات إلى البرنامج الطموح للتجارب النووية والكيماوية التي كانت تقوم بها آنذاك السلطات الاستعمارية في أدرار وفي تمنراست، وفي واد الناموس قرب بشار، وقد تم إنجاز مستشفيات جديدة في هذا الإطار منها مستشفى رقان الذي كان يمتلك وحدة للمحروقين وكذلك مستشفى ببشار (مصطفى خياطي، ص 383).

أما عن الخدمات الصحية المقدمة للمعمرين والخدمات الصحية المقدمة للأهالي، تمت مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية إعادة تنظيم للمنظومة الصحية التي سمحت بتعزيز مكانة المستشفى الجامعي لمصطفى بالجزائر وإعطاء الصبغة الجهوية لمستشفى وهران وقسنطينة اللذان تم توسيعهما، كما قامت السلطات الاستعمارية بتدشين سلسلة من المستشفيات الجديدة: مليانة، شلف، تيزي وزو، سيدي بلعباس، سطيف وتلمسان، مما سمح بمضاعفة قدرة استيعاب هذه المستشفيات حيث وصل بها عدد الأسرة إلى أربعة وعشرون ألف سرير، وبالموازاة مع هذه التغيرات قام المعمرون بفتح عدد كبير من العيادات الخاصة في كل المدن الذي كان يوجد فيها المعمرين (مصطفى خياطي، ص 383).

وفي نفس الوقت تمت عصرنة اقتناء وتوزيع الأدوية والمعدات الطبية الصغيرة، فللعلم كانت صيدلية مستشفى مصطفى هي التي تشرف على تزويد كل منطقة بالجزائر بالمعدات الصيدلانية إلى غاية سنة 1921.

وجانب الضعف في هذه المنظومة الصحية المخصصة للمعمرين هو أنها تكونت حول الجزائر العاصمة بحيث كانت قدرات هذه المنطقة تمثل في سنة 1930 ربع طاقات المنظومة الصحية في كل الجزائر، وبقي هذا الفارق إلى غاية استقلال البلاد (مصطفى خياطي، ص385).

هذا فيما يخص العنصر الأوربي أما عن الجزائريون لم يكن مستفيدين من تغطية صحية لائقة بل كانت تسمى هذه المساعدات "المساعدة الطبية للأهالي"، بلغت عدد الوحدات الصحية 112 سنة 1939 كل وحدة بها مستوصف أو مستشفى ملحق أو قاعات صحية في القرى، وبلغ عدد هذه الوحدات 155 سنة 1944. كان عدد عمال الصحة سنة 1936 بالنسبة لكل الجزائر هو 923 طبيب، 423 قابلة، 203 جراح أسنان، و88 بيطري أغلبهم كان في خدمة الأوروبيين وموجود في المدن (مصطفى خياطي، ص385).

بعد 10 سنوات (1946) كان لا يوجد في مقاطعة الجزائر العاصمة إلا 8 قابلات جزائرية هن: ماميا عيسى، يمينة فخار، صليحة ومليكة بعلبد، خيرة كزال، نجمة كليوة، ربيعة لشرف وعيشة صباغ.

ولكن بعد اندلاع الثورة التحريرية في 1954 ظهر ما يسمى ببرنامج قسنطينة الذي حاول إنشاء عدة مستشفيات بطاقة 100 سرير إضافة إلى مستشفيات جامعية بقسنطينة ووهران. لكن أغلب هذه المستشفيات لم تنجز إلا بعد الاستقلال، وكان هذا المخطط يرمي كذلك إلى إنشاء مراكز صحية في المدن

وقاعات فحص في الأحياء، والمستوصفات من مرض السل في المدن و"بيوت العينين" في المناطق التي يكثر فيها داء تراكوم وملاجئ للأمومة والطفولة، وكان عدد الأسرة ثمانية وثلاثين ألف بالنسبة للقطاع الصحي العمومي عشية الاستقلال منها عشرة آلاف بيد الحملات التبشيرية وكذلك بعض الخواص. مما يعطي عدد إجمالي ثمانية وأربعين ألف سرير مخصصة لطلبات في الصحة تشمل ملايين ساكن، والحقيقة أن هذه المنشآت الصحية كانت تخدم خاصة المعمرين الأوروبيين كما يثبت ذلك توزيعها في المدن والأماكن التي يقطنها الأوروبيون (مصطفى خياطي، ص 386).

وهكذا كانت الجهات الفقيرة لا تحتوي على أي خدمة صحية فمثلا في سنة 1956:

الجدول رقم 1: الخدمات الصحية سنة 1956

الجزائر العاصمة (كانت تؤوي 16% من مجموع السكان)	الأطباء	%48,8
	الصيادلة	%39
	جراحي أسنان	%48,1
تيزي وزو	الأطباء	%1,8
	الصيادلة	%8,3
	جراحي أسنان	%1

المصدر: (مصطفى خياطي، ص386).

وبوصف آخر كان هناك في مقاطعة الجزائر طبيب لـ1200 ساكن، في منطقة تيزي وزو فكان هناك طبيب 24000 أو 25000 ألف ساكن. وللتذكير كان تمثل المقطعات التي تعد أقل من طبيب لعشرة ألف ساكن بـ 44 من السكان(مصطفى خياطي، ص 386).

الخاتمة

مثلث الحرب العالمية الثانية التي اندلعت سنة 1939 فرصة للسلطات الفرنسية كي كبلت الجزائريين بمجموعة من الإجراءات كان أهمها: تضييق الخناق على رؤساء الحركة الوطنية الجزائرية خاصة في عهد حكومة فيشي التي تكونت في فرنسا عقب اجتياح القوات الألمانية له.

ونتيجة لسياسة فرنسا القمعية وتنكيلها بالوطنيين، وفي ظل الظروف الصعبة التي مر بها العالم، توجه الوطنيون لمعسكر الحلفاء بغرض تحقيق مطالبهم الخاصة بتقرير المصير، وقد تم الاتصال بالطرفين بمجرد دخول الحلفاء أرض الجزائر سنة 1942إذ ظهر فرحات عباس كأقوى شخصية سياسية في فترة الحرب العالمية الثانية، وربما يعود ذلك لأن مصالي الحاج كان رهن الاعتقال لينفى بعد ذلك إلى برازفيل، وقد لوحظ بأن هناك تغيرا كبيرا في موقف فرحات عباس الذي كان من دعاة الإدماج، حيث تطورت أفكاره بسبب يأسه من جدوى السياسة الفرنسية التي كانت مصممة على انتهاج أسلوب التفرقة والاضطهاد في حق الوطنيين.

ومن الأعمال الوطنية التي كانت في فترة 1942 هي الرسالة التي وجهها عدد من الاشخصيات السياسية إلى السلطات المتمثلة في كل من الولايات المتحدة وإنجلترا في 20 ديسمبر 1942 ، وتلتها مذكرة ثانية في 22 ديسمبر 1942. لقد كانت الفترة الزمنية الممتدة من سنة 1940 إلى سنة 1945، صعبة جدا على الجزائريين، أين كانت الأوضاع العامة تزداد خطورة، وبالتالي كنا نعاني من تبعات الحرب العالمية الثانية، كما حل البؤس والمجاعة على المدن والقرى.

وبمجيء ديغول للجزائر حاول التخفيف على الجزائريين ظاهريا فقط بجلبه مجموعة من الإصلاحات، يدعي أنها لصالح الجزائريين مثل مشروع قسنطينة، الذي يتضمن مجموعة من الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ، وجاء البيان سنة 1943 كمذكرة بها مجموعة من المطالب من قبل زعماء الحركة الوطنية وعلى رأسهم فرحات عباس كرد فعل على السياسة الفرنسية المنتهجة في تلك الفترة، ليقدم السلطات الفرنسية آملين في قبول مطالبهم فبصدور أمرية 07 مارس 1944 ظهرت حركة أحباب البيان والحرية كتكتل للأحزاب الوطنية (مصالي، فرحات، البشير الإبراهيمي) كرد على هذا المرسوم.

كان لكل تيار في تيارات الحركة الوطنية رد فعل على السياسات المنتهجة خلال1945 ، لأنها كانت عبارة عن قوانين تعسفية تتنافى مع أوضاع الفترة الممتدة من 1939 الجزائريين وبالتالي فهي ضدهم، لقد أثرت السياسة الفرنسية أثناء الحرب العالمية الثانية في بعث الحماس وتعميق الوعي وتعزيز الأمل في نفوس عامة الجزائريين. ومما لاشك فيه أن المجتمع الجزائري أحاطت به كل المآسي بحيث لم يكتف بما جلبه جراء سياسة الاحتلال، لتزيد فترة الحرب العالمية الثانية من تدهور أوضاع الجزائريين وزادتهم بؤسا وفقرا.

تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

المراجع

(1)- إبراهيم العسكري، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية، دور القاعدة الشرقية، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 1992، ص 44-45.

(2)- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص 173.

(3)- أحمد مريوش، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحوادث 8 ماي 1945م، المجلة التاريخية، جامعة الجزائر 1997م، العدد 10، 129.

(4)- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، ج1 ، دار المعرفة للنشر و التوزيع، ص 174.

(5)- توفيق برو، جنون الاستعمار وجريمة الجزائر، مجلة سيرتا، العدد 6/7 ، معهد العلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة، الجزائر، 1982م، ص12.

(6)- جبران مسعود، الحرب العالمية الثانية، مؤسسة نوفل للطباعة و النشر، لبنان، 1944، ص 105.

(7)- جبران مسعود، الرند، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت 2005، ص 59.

(8)- الجزائر إبراهيم لونيسي، تجدد فكرة العمل في الجزائر إبان الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، مجلة المصادر، العدد 04، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية، الجزائر، 2001، ص 78-79.

(9)- جيلالي صاري، محفوظ قداش، المقاومة السياسية (1900- 1954)، الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، 209.

(10)- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص90-91.

(11)- رخيلة عامر، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 37.

(12)- رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، ط 2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1986، ص ص 52، 54.

(13)- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1945-1830)، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص 209.

(14)- شايب غزواتي قدادرة، الحزب الدستوري التونسي الجديد و حزب الشعب الجزائري (1934- 1954)، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه، إشراف عبد الرحيم سكفالي، جامعة منتوري قسنطينة 2007-2008، ص 145.

(15)- شايب قدادرة، مجلة العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، العدد 30، ديسمبر 2008، المجلد أ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

(16)- عبد الحميد زوزوا، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا والجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، ص 224.

(17)- عبد الرحمان ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1936-1945م)، مج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 355.

(18)- عبد القادر جويبة، الحركة الوطنية الجزائرية والجمهورية الفرنسية الرابعة (1946-1954)، وزارة الثقافة، Medithèque، MMSH, Aix en provence Z8-36380، ص 46.

(19)- عبد القادر جيلالي بلوفة، الحركة الاستقلالية خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، في عمالة وهران، الطبعة الأولى، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 59.

(20)- عبد القادر يحياوي، الوضع السياسي في الجزائر بين 1939-1954م الطريق الى نوفمبر، مج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجائر، 1982م ، 68.

(21)- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية (1931-1954)، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1981، ص 171

(22)- عبد الكريم رمضاني، الوضعية الاقتصادية والاجتماعية بالجزائر فترة (1940-1954)، الطريق إلى نوفمبر، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 105.

(23)- عز الدين معزة، فرحات عباس و دوره في الحركة الوطنية و مرحلة الاستقلال (1899- 1985)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري، قسنطينة، -2004 2005، ص 150.

(24)- لاوند رمضان، موسوعة الحرب العالمية الثانية، ط2 ، دار العلم للملايين، بيروت، 2006، ص 52.

(25)- محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 41.

(26)- محمد تومي، طبيب في معاقل الثورة حرب التحرير الوطني، -1954 1962، ترجمة حضرية يوسفي، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين.

(27)- محمد عباس، رواد الوطنية 28 شخصية، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 185.

(28)- مصطفى سعداوي، المنظمة الخاصة و دورها في الإعداد لثورة أول نوفمبر، مطبعة متيجة، الجزائر، 2009، ص 21.

(29)- موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية و الحضارية " التاريخ الحديث و المعاصر" الحربان العالميتان و تطور الفكر العربي الحديث، المجلد الرابع، القاهرة، ص ص 46-47.

(30)- مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني، دار الطليعة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص63.

(31)- نادية حرز الله، أحداث الثامن ماي، مجلة التاريخ، العدد 4، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977، ص 164.

(32)- نصر الدين سعيدوني، أحداث 8 ماي 1945م ذكرى تضحيات جسيمة وعبرة كفاح مريرة، مجلة الذاكرة، العدد2، السنة الثانية 1995م، ص13.

(33)- يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوص 1912- 1948، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص 185.

(34)- يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 94.

(35)- يوسف مناصرية، وجهة نظر فرنسية في تقييم الوضع في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية، " المصادر"، العدد 8، الجزائر، ماي 2003، ص 143.

(36)- A.N.O.M GGA, boite 11H/55, direction des réformes service d'information et de documentation musulmanes, rapport décadaire secret sur la situation politique en milieu musulman (du 21 au 31 Mars 1945).

(37)- A.N.O.M, GGA/ Boit 9H/45, Document remis au Général Catraux le 11 Juin 1943 par Ferhat Abbas et le Docteur Tamzali, portant l'objet (Projet de Réformes, faisant suite au Manifeste du peuple Algérien Musulman du 10/02/43, présenté par les délégués Arabes et Kabyles le 26 Mai 1943.

(38)- A.W.O : Carton 4477, dossier, presse indigène et préfecture d'Oran CIE, n° : 623, Décembre 1942.

(39)- A.W.O : Carton 4477, PS d'Oran, n° 2279 du 14/07/1943.

(40)- Abderrahmane Kiouane, Mouvement National, textes et positions, éd, Dahleb, Alger, p 62.

(41)- André Nouchi, La naissance du nationalisme Algériens dans l'Armée Française (1919- 1945), éd, Minuit, Paris, 1962.

(42)- Benyousef Benkhadda, les origines du 01 Novembre 1954, ed, Dahlab, Alger, 1989,84.

(43)- Charles Robert Agéron, Histoire de l'Algérie Contemporaine, éd, P.U.F, Paris 1979.

(44)- Claude Collot et Robert Henry, le mouvement national Algérien, Texte 1 (1912-1954), préface Alger, 1978, p153.

(45)- Ferhat Abbas, La nuit coloniale, guerre et révolution d'Algérie, éd, Livres Alger 2011, p 133.

(46)- Ferhat Abbas, la nuit coloniale, la nuit coloniale, guerre et révolution d'Algérie, éd, livres Alger 2011,p 135.

(47)- Gilbert Meynier, Histoire intérieure du FLN (1954-1962), éd Casbah, Alger, 2003, p 61.

(48)- https://www.cairn.info/revue-histoire-de-la-justice-2005-1-p-93.htm

(49)- Jacques Cantier, l'Algérie sous le régime de Vichy, édition Odile Jacob,Paris Mars 2002, p 43.

(50)- Jean Afrique, L'intelligent de Gaulle, traits d'exprit.

(51)- Jean Lacouture, Charle de Gaulle, tome 1, le Rebelle, éd, du seuil, 1984, p 597.

(52)- La Voix Indigène, n° 514, jeudi 11 Juillet 1940.

(53)- M'hamed yousfi : L'O.A.S et la guerre d'Algérie, éd, Entreprise Nationale du livre, Alger, 1985, p 132.

(54)- Maxime Weygand, né à Bruxelles le 21 janvier 1867, mort à Paris le 28 janvier 1965 (à 98 ans), est un officier général français, membre de l'Académie française. Il a joué un rôle majeur lors des deux guerres mondiales.

(55)- Raymond Cartier, La deuxième guerre mondiale, Tome1, éd, Larousse,

Paris, 1956, P30.

(56)- Revue d'Histoire moderne et contemporaine/ Année 1988/ 35-1/pp 61. Decrét Crémieux et l'Instruction de 1871 en Algérie (Article).

(57)- Revue Française d'Histoire d'Outre-mer/Année 1986/272/pp363-365. ABITBOL (Michel les Juifs d'Afrique du Nord sous Vichy (Compte Rendu).

(58)- Slimane Chikh. L'Algérie en Armes : ou le temps des certitudes, 2ème éd. Paris, 1981, p 62.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

المؤلف مجاهد يمينة، (2021)، السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية وانعكاسها على مسار الحركة الوطنية 1940-1945، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد13، العدد 01 ، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات. ص ص : 141- 152